الاستبداد السياسي بين اتين دي لابويسي واريك فروم

م.د.هجران عبد الاله (*)

كلمات مفتاحية: الاستبداد السياسي-المستبد-المستبد به-السادية-المازوخية

ملخص البحث

يتناول هذا البحث تفسير مؤسس الفلسفة السياسية الحديثة في فرنسا آتين دي لابويسي، وتفسير الفيلسوف وعالم النفس الالماني اريك فروم للاستبداد السياسي. حيث قدم الاول تفسيراً للاستبداد السياسي يركز على الجانب الاجتماعي، الذي يتجه نحو صوت الخاضعين المستبد بهم، فعزى السر وراء انصياع وخضوع الجموع الفقيرة لفرد واحد إلى فعل الخضوع والاستجابة للاستبداد لدى هذه الجموع الغفيرة، وللخلاص من الاستبداد وهزيمة هذا المستبد لا بد على المستبد بهم الكف عن طاعته والامتناع عن تنفيذ أوامره، حينها سوف يسقط كالتمثال الضخم الذي سحبت قاعدته من تحته. اما تفسير اريك فروم فهو يركز على الجانب الفردي النفسي للاستبداد، حيث وجد من خلال تحليله للنزعة السادية والمازوخية الموجودة عن كل البشر الأسوياء والمرضى ولكن بدرجات متفاوتة، فالمستبد يمارس نزعته السادية القائمة عن التلذذ بإيذاء الآخرين بدافع حب السيطرة. أما المستبد به فهو يعبر عن نزعته المازوخية القائمة على التلذذ بالألم الذي يقع عليه من شخصية أقوى منه تحرره من الخوف من الحرية.

مقدمة

يعد الاستبداد ظاهرة نشأت وتراكمت في تاريخنا لقرون عديدة، وقد عرفتها كثير من شعوب العالم وحضاراتها. وعلى الرغم من قدم هذه الظاهرة وخطورتها إلا أنها لا زالت تعد من الموضوعات المسكوت عنها ويحظر تداولها لأسباب سياسية ودينية واجتماعية واقتصادية وحتى ثقافية. وفي الوقت نفسه

(*) جامعة الموصل

يلف الاستبداد الكثير من الغموض والابهام لتداخله مع مصطلحات ومفاهيم أخرى كالطغيان والدكتاتورية والثيوقراطية وغيرها من التسميات التي تتشابه في الفعل القائم على التسلط والقسوة والاستغلال. وعلى الرغم من تعدد تلك المصطلحات التي تتداخل مع فعل الاستبداد إلا أنه يمكن أن نحدد معيارين للاستبداد الأول يمثل الجهة التي يصدر عنها الاستبداد، فقد يكون المستبد فرداً سواء كان حاكماً أو حزباً سياسياً أو مديداً أو رب أُسرة أو سيد القبيلة أو حتى سلالة حاكمة أو حزباً سياسياً أو مؤسسة اقتصادية واجتماعية. والمعيار الثاني هو الحقل الذي يمارس فيه الاستبداد. فقد يكون الاستبداد سياسياً إذا كان المجال سياسي، أو فكرياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً أو دينياً الخ... أي انه يختلف بحسب الحقل الذي ينشأ فيه، فالمفاهيم تشترك بعلاقة أنطولوجية مع الحقل المعرفي الذي تشتغل فيه.

سيتناول هذا البحث الاستبداد السياسي بين اتين دي لابويسي واريك فروم، وسنحاول اولا ان نقدم نظرة تاريخية لاهم المواقف والتفسيرات التي قدمها عدد من الفلاسفة والمفكرين للاستبداد السياسي، ثم سنبين تفسير كل من أتين دي لابويسي الذي يعد مؤسس الفلسفة السياسية الحديثة في فرنسا وصاحب كتاب ومقالة في العبودية المختارة، وتفسير الفيلسوف الألماني وعالم النفس أريك فروم. ولقد جاء اختيار هاتين الشخصيتين كون أن أحدهما يقدم تفسيراً يركز على الجانب الاجتماعي والآخر يركز على الجانب الفردي النفسي للاستبداد.

الاستبداد لغة واصطلاحاً

لا شك أن الاستبداد آفة أُصيبت بها كثير من الأُمم وظاهرة قديمة قدم الحضارات والأُمم، ولا يزال البحث في الاستبداد من أهم الموضوعات التي تستهوي الباحثين في شتى المجالات بغية التقصي عن أسباب هذه وتفسيرها ووضع الحلول لها. كما لا يزال الاستبداد في كثير من المجتمعات أحد الموضوعات المسكوت عنها والمحظور تداولها، كونها تتداخل مع الدين والسياسة والعادات والتقاليد والأعراف. ولكي نحاول فهم هذه الظاهرة لا بد لنا من تحديد الجذور اللغوية والاصطلاحية لكلمة الاستبداد.

الاستبداد لغةً:

تعود أصل كلمة الاستبداد إلى استبد مستبد، فيقال استبد به، أي: تفرد[1]، واستبد به: انفرد به، واستبد الأمر بفلان: غلبه فلم يقدر على ضبطه، واستبد بأميره: غلب على رأيه، فهو لا يسمع إلا منه[2]، ويقال أيضاً استبد فلان بالأمر استبداداً إذا انفرد به دون غيره[3].

أما الاستبداد في اللغات الأجنبية فتأتي كلمة المستبد Despot مشتقة من الكلمة اليونانية ديسبوتيد Despots التي تعني رب الأُسرة أو سيد المنزل أو السيد على عبيده. ثم خرجت من هذا النطاق الأُسري إلى عالم السياسة لكي تطلق على نمط من أنماط الحكم الملكي المطلق الذي تكون فيه سلطة الملك على رعاياه متمثلة بسلطة الأب على أبنائه في الأُسرة أو السيد على عبيده[4].

الاستبداد اصطلاحاً:

تُعرف الموسوعة السياسية الاستبداد: بأنه حكم أو نظام يستقل بالسلطة فيه فرد أو مجموعة من الأفراد دون خضوع لقانون أو قاعدة ودون النظر إلى رأي المحكومين[5]. اما الموسوعة

الفلسفية العربية تعرف الاستبداد بأنه: الانفراد بالأمر والأنفة عند الطلب أو القبول فإذا كان الأمر متعلقاً بمصلحة الفرد نفسه، فإن الاستبداد يأتي على الأغلب تعبيراً عن غرور المرء بنفسه، أو عن عدم قدرته على الانفتاح والتبادل، أو عن إرادته كتم حقيقته عن غيره وإذا كان الأمر متعلقاً بتدبير مصلحة جماعة معينة، فإن الاستبداد يعني التصرف المطلق في شؤون تلك الجماعة بمقتضى المشيئة الخاصة والهوى[٦].

ويُعرف معجم العلوم الاجتماعية الاستبداد بـ: تلك الصورة القاسية للحكم الفردي أو نمط من البناء السياسي يتميز بعدم وجود قيود عرفية أو قانونية على سلطة الحكومة[٧].

أما في الفكر السياسي الغربي الحديث، فيتحدد الاستبداد بدقة بالنسبة إلى القانون، فالحاكم المستبد هو الحاكم الذي لا يتقيد بقانون أو قاعدة ثابتة، ويفرض إرادته على المحكومين بدون خشية حساب أو تبعية[٨].

ويعود ظهور مصطلح الاستبداد بمعناه الحالي في قاموس السياسة إلى (مونتسكيو) الذي جعله أحد الأشكال الأساسية الثلاثة للحكم إلى جانب الحكم الجمهوري والحكم الملكي، وعرفه بأنه نوع من أنواع الحكم أو نظام من الأنظمة السياسية يتميز بكونه يجعل السلطة كاملة بين يدي حاكم واحدج يحكم بدون قانون أو قاعدة، بل بموجب أهواءه ورغباته[٩].

أما عند الحديث عن تعريف الاستبداد في الفكر العربي المعاصر فلابد أن نقف عند المفكر عبدالرحمن الكواكبي أحد أهم رواد الفكر العربي حيث يعد من أوائل المفكرين الذين اهتموا بدراسة الاستبداد، وسنوضح ذلك لاحقاً.

كما أن هناك مصطلحات أخرى تتداخل مع مصطلح الاستبداد مثل الطغيان[١٠]. والدكتاتورية[١١]، والحكم المطلق [١٢]. ومصطلحات أخرى لكن تشترك بصفة التفرد بالسلطة والاستبداد واستخدام القوة في بسط السلطة.

تاريخية الاستبداد

١- الاستبداد في الفكر الغربي:

سعى عدد كبير من الفلاسفة والمفكرين في سبر أغوار الاستبداد ولقد انتهى أغلب هؤلاء إلى فكرة مفادها هي أن منبع وأصل الاستبداد هو الشرق وبالذات الحضارات الشرقية القديمة التي شكل نمط الحكم فيها نوع من أنواع الاستبداد متمثلاً بالحكم الثيوقراطي[١٣]. إذ عد أغلب الباحثين في مجال الاستبداد أن الحكم الثيوقراطي الذي شاع في الحضارات القديمة هو الشكل الأول من أشكال الاستبداد، وأرجع لبعض ذلك إلى البنية التكوينية لذلك الحكم الذي يقوم على تقسيم المجتمع إلى فئتين متمايزتين (حاكمة ومحكومة)، تتمتع الطبقة الحاكمة بصلاحيات مطلقة، وغالباً ما يكون للحاكم صفات إلهية عليا هي اختارت هذا الحاكم ليمارس السلطة على الأرض باسمه، ولقد لعبت هذه الفكرة دوراً أساسياً وكبيراً في التاريخ، وقامت عليها معظم الحضارات القديمة، وكذلك أقرتها المسيحية في أول عهدها، ثم استند عليها الملوك في أوربا في القرنين السادس والسابع عشر، لتبرير سلطاتهم المطلقة غير المقيدة[١٤].

عند البحث في مواقف الفلاسفة والمفكرين

مـن الاسـتبداد لابد لنـا أن نسـلط الضوء على بعض أبرز الأفكار التي صدرت عن مجموعة مختـارة مـن الشـخصيات، ويمكن البـدء أولاً من الحضـارة اليونانية وبالـذات من أفلاطون (٣٤٧ – ٤٢٧ ق.م.) الـذي يعد أول من أشـار إلـى دلالات الاسـتبداد في حديثـه عن صفات الحكومـة الكاملة وصفات الفـرد الكامل. حيث يرى أفلاطون الشـخص المسـتبد هو الشخص الذي يسـتولي على السـلطة بالقوة، ويمارسها بالعنف، فيسـعى إلى تصفيـة خصومه، ويكثر من الوعود، ويقسـم الأراضـي ويهبها لأتباعه مما يجعلـه محبوباً وشـعبياً. ويفتعل الحروب، ويعتمد علـى رفع الضرائب، وزيادة سـاعات العمل مما لا يدع للشعب وقت للتآمر عليه، كما تسـاعد الحروب على التخلـص من معارضيه السياسـيين[١٥]. ويصـف أفلاطـون النظـام الأوليغارشـي والنظام الديمقراطي كشـكل من أشكال الحكم الاسـتبدادي[١٦]. ويرى في النظام الديمقراطي أشـد أنواع الاسـتبداد وأثقله، وأن المسـتبد هـو الابـن الحقيقـي للديمقراطية[١٧]. ويـرى فـي الدولـة التـي تكـون تحـت الحكم الاسـتبدادي بأنها دولـة واقعة تحـت العبودية التامة[١٨].

اتفق أرسطو (٣٨٤ق.م.-٣٢٢ق.م.) مع ما ذهب إليه أفلاطون إلى حد كبير، لكنه كان أكثر وضوحـاً، حيث فـرق بين الطاغية والمسـتبد، فالطغيان هو مفهوم غير مكتمل للاسـتبداد[١٩]. واعتقد كذلك بأن الشـرق منبع الاستبداد، كون الحاكـم في الحضارات الشـرقية أقرب (للإله) وأن الشعوب في هذه الحضارات كانوا يؤلهون ملوكهـم فيقـول: "أن البرابـرة في إشـارة إلى سكان الحضارات الشرقية أكثر خنوعاً بطبعهم مـن الإغريـق والأسـيويين، ومـن هنـا فإنهم يتحملون الحكم الاسـتبداد دونمـا احتجاج، فهم عبيـد بطبعه"[٢٠]. ويعرف أرسـطو الاسـتبداد بأنـه اغتصـاب السـلطة المدنية، وهـي عملية يقوم بها فرد يسـتخدم الخـداع والقوة لكي يقفز إلـى الحكـم. وكثيراً ما يحـدث ذلك عن طريق اسـتخدام مجموعة مـن الجنـود المرتزقة[٢١]. ويتفق أرسـطو مع أفلاطون في أشكال الأنظمة الاسـتبدادية[٢٢]. ويضـع النظام الأوليغارشـي والديمقراطـي كشـكل مـن اشـكال الأنظمـة الاستبدادية[٢٣].

أمـا ميكافيلـي (١٤٦٩-١٥٢٧م) فيتضـح موقفـه من الاسـتبداد مـن خلال مـا قدمه من نصائح للأمير الذي جعل كل شيء بيده ونصحه في أن يبتعـد عن الرأفة والتقرب من القسـوة، وعليه أن لا يسيء استخدام الرحمة لأن القسوة هي التي تجلب الاستقرار والولاء وعلى الأمير أن لا يكتـرث بوصمـة تهمـة القسـوة إذا كان في ذلك مـا يؤدي إلى وحدة رعايـاه وولائهم، وأن الحكام الذين يفرطون في الرقة يسـمحون بنشوب الاضطرابات التي ينجم عنها الكثير من سـفك الدماء والنهب والسـلب[٢٤]. ويتضح هنا موقف ميكافيلي من الاسـتبداد أنه موقف نفعي تبريري، فالاسـتبداد وسـيلة من أجل الوصول إلى غاية الاسـتقرار وتوحيد الناس على طاعة الحاكم.

ولا يذهب توماس هوبز (١٥٨٨-١٦٧٩م) بعيـداً عن هذا الموقـف التبريـري لميكافيلي، وقف بشـكل مطلـق من سـلطة الملـك، حيث يرى هوبز الإنسـان كائن شرير بطبعه يتحرك وفق مصلحتـه الذاتية، وهو لا يذعن إذا خاف، لـذا على الحاكم امتلاك السـلطات كلها لتحقيق إرادتـه، التي هي إرادة المواطنين كلهم، وعليه

فـرض احترام العقـد بين المواطنيـن والحاكم بالتهديـد والعقاب[٢٥]. ومـا يمكن ملاحظته في فلسـفة هوبز السياسية أنها تمتلك نزعة تبريرية للاستبداد وللحكم المطلق، رغم ادعائه أن الغاية هي الحفاظ على شريعة التعاقد.

ويشـابه جـان جـاك روسـو (١٧١٢-١٧٧٨م)، ما طرحه سـابقوه حول الاسـتبداد، حيث يرى الاسـتبداد ليس نظاماً سياسـياً وإنما اغتصاب للسـلطة التشـريعية واعتبـار الحاكم نفسـه فـوق القانون مهمـا يكم شـكل الحكومة وعـدد أعضائها[٢٦]. والحاكم المسـتبد هو الذي يحكـم بعنـف دون مبـالاة بالعدالـة والقوانين ويستأثر بالسطلة دون أن يكون له بها وجه حق أو مشروعية[٢٧].

ويفـرق روسـو بيـن الاسـتبداد والطغيان حيث يـرى في الطاغية من يحكـم بالعنف ولا يراعي العدل والقانون، فالطاغية شخص ينتحل السلطة الملوكية بغير حق، لذا فإن كلمة طاغية وكلمـة مغتصب كلمتـان مترادفتان كأفضل ما يكون الترادف[٢٨]. ويقول أيضاً روسـو في هذا الصدد: "سأسـمي الطاغية بمغتصب السـلطة الملوكية واسـمي المسـتبد مغتصب السـلطان السـيادي، فأما الطاغية فهو من يتسـلط بنفسـه علـى القوانين لكـي يحكم وفـق القوانين، وأما المسـتبد فهو من ينصب نفسـه فـوق القوانين، وهكذا قد لا يكون الطاغية مستبداً ولكن المستبد يكون طاغية دائماً"[٢٩]. أما مونتسيكو (١٦٨٩-١٧٥٥م) يعرف الاسـتبداد السياسي بأنه شكل من أشكال الحكومة المستبدة، والخوف هو مبدأ الحكومة المسـتبدة ليس سلماً بل صمت الموت التي يوشك العدوان يستولي عليها[٣٠]. كما يرى في الدولة المسـتبدة لا يصلح ولا يحسـن شيء ولا ينشئ البيوت إلا من أجل الحياة ولا تغرس الأشـجار، ويستخرج كل شيء من الأرض ولا يعاد عليها شـيء فكل شـيء يغـدو بائراً وكل شـيء يكـون مقفـراً[٣١]. وإذا كان حب الوطن والحياء والفضيلة والشرف الرادع الحقيقي في الدولة العادلة، فإن شـدة العقوبات وحدها تقف بوجه الجرائم[٣٢]. وينتهي مونتسـكيو الى راي مفاده ان الحكم الاسـتبدادي هو النموذج الوحيد المرفوض من أنمـاط الحكم وطبيعة هذا النمط هي أن واحـداً يحكم بحسـب نزواته، من دون قوانيـن أو قواعـد، ومبدؤه الخـوف، إذ يعامل رعاياه كالبهائم[٣٣].

٢- الاستبداد في الفكر العربي:

أمـا حضـور فكـرة الاسـتبداد فـي الفكر العربـي، فنجـد أول المواقـف التـي ضمـت فكرة الاسـتبداد في طروحاتهـا هي طروحات الفيلسـوف الفارابـي (٨٧٠-٩٥٠م) ومن بعده ابن رشـد (١١٢٦-١١٩٨م)، حيث جاء موقف كلا الفيلسوفان متأثراً بفلسفة أفلاطون السياسية وفلسفة أرسطو أيضاً.

فالفارابـي يـرى ضـرورة طاعـة الحاكم إلـى ما لا نهايـة[٣٤]. ولكن يتم عزلـه في حال مارس الاستبداد والظلم، والفارابي يقدم صورة الرئيـس العادل بصورة الفيلسـوف واشـترط الحكمة في صفـات هذا الرئيس الحكمة لأنه قد حصل علـى العلوم والمعـارف كافة من العقل الفعال، لذا لا تكون له حاجة إلى إنسان يرشده، والناس الذين يدبرون تحت رئاسـة هذا الرئيس هو الفاضلون، وهم الأنقياء والسـعداء والمدنية التي تحكمها هـذا الرئيس هي المدينة الفاضلة، وتضادهـا المدينة الجاهلة والفاسـقة والضالة، وهذه المدن الثلاث يشاع فيها الاستبداد واستعباد

الناس[٣٥]. وكذلك ذهب ابن رشد حيث حرص على دراسة أفلاطون وأرسطو وحاول التقريب بين أفكارهما بغية الوصول إلى تصور نهائي لمدينته الفاضلة، ورأى من ضرورات المدينة الفاضلة الفصل بين الدين والدولة[٣٦]. ورأى وجوب تولي حكم المدينة من قبل فيلسوف، وحارب الاستبداد من باب أن المدن المستبدة لا يمكن أن يتوفر فيها العدل لأنها تقوم على القهر والمآرب الشخصية للمستبد، والناس يصبحون عبيداً ليس لهم غاية سوى خدمة المستبد وتنفيذ رغباته[٣٧]. فلا يوجد أشر من التسلط والاستبداد فالمدنية يحكمها متسلط هي مدينة غاية العبودية وأبعد ما تكون عن الحرية، ولما كانت هذه المدنية مستعبدة فإنها لا تفعل ما تريد وإن فعلت الأقل، لذلك نجد أن هذه المدنية مليئة بالحسرة والأسى والحزن[٣٨].

أما عند الحديث عن تشخيص الاستبداد في الفكر العربي المعاصر، فلابد أن نقف عند المفكر عبد الرحمن الكواكبي (١٨٥٥-١٩٠٥م) صاحب الكتاب الأكثر شهرة في هذا المجال وهو كتاب (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد)، حيث شخص الكواكبي في هذا الكتاب ما الاستبداد؟ وما أسبابه وأعراضه ودوائه وبدأ بتعريف الاستبداد بالقول: "التصرف في الشؤون المشتركة بمقتضى الهوى"[٣٩]. ويصفه أيضاً بأنه غرور المرء برأيه عند قبول النصيحة أو الاستقلال في الرأي في الحقوق المشتركة"[٤٠]. كما يعرف الكواكبي الاستبداد السياسي بالقول: "هو تصرف فرد أو جمع في حقوق قوم بالمشيئة، وبلا خوف تبعة وقد تطرأ مزيدات على هذا المعنى الاصطلاحي فيستعلمون كلمة استعباد واعتساف وتسلط وتحكم"[٤١]. أما الاستبداد بالوصف فيصفه الكواكبي بأنه صفة من صفات الحكومة المطلقة العنان فعلاً أو حكماً، والتي تتصرف في شؤون الرعية كما تشاء بلا خشية أو حساب ولا عقاب محققين، وكذلك تتمثل بحكومة الحاكم المفرد المطلق الذي تولى الحكم بالغلبة أو الوراثة، وكل أشكال الحكم المنتخبة أو غير المنتخبة التي تشترك بصفة الاستبداد[٤٢]. ومن الجدير بالذكر أن الكواكبي من خلال دراسته للتاريخ الطبيعي للأديان وجد أن الاستبداد السياسي متولد من الاستبداد الديني[٤٣]. لذا رأي من الضروري فصل الدين عن الدولة، لأن استمرار الحكم باسم الدولة يؤدي إلى استمرار الاستبداد السياسي[٤٤].

أما محمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥م) فهو يرى الاستبداد على نوعين أحدهما: "تصرف الواحد في الكل على وجه الاطلاق في الإرادة إن شاء وافق الشره والقانون وإن شاء خالفهما، فيكون اتباع النظام مفوضاً إليه وحده، إن أراد قام به وإن لم يرد لا يؤخذ عليه وهو الاستبداد المطلق"[٤٥]. والنوع الثاني: استقلال الحكم في تنفيذ القانون المرسوم والشرع المسنون، بعد التحقق من موافقتهما على قدر الإمكان. وهذا بالحقيقة لا يسمى استبداداً إلا على ضرب من التساهل وإنما يسمى في عرف السياسيين توحيد السلطة المنفذة[٤٦]. ويقصد بالنوع الثاني أنه يعود تنفيذ السلطة إلى فرد واحد. والسلطة هنا مقصورة على تطبيق أحكام الشريعة.

التفسير الاجتماعي للاستبداد:

اتجه آتين دي لابويسي[٤٧]. في كتابه العبودية المختارة لطرح مسألة مهمة أثارت انتباهه هو ما الذي يجعل عدد كبير من الناس تخضع وتنصاع لطاغية واحد. حيث اهتم

لابويسي بفكرة صوت الخاضعين المستبد بهم في تفسيره للاستبداد السياسي أكثر من اهتمامه بالمستبدين[٤٨]. فهو لا يبحث في مسألة شرعية الحكام ولا بطريقة وصولهم إلى السلطة سواء بالقوة أو بالوراثة أو بالانتخاب فهؤلاء الطغاة على اختلافهم فإن أكثرهم يتميزون بانعدام الكفاءة. إذاً ما الذي يبرر انصياع الآلاف لهم وما الذي يفسر استمرار الشعب المستعبد في احتمال وطأة الاستبداد.

يرى لابويسي أن استمرار الشعب تحت الاستبداد والطغيان يعود إلى العادة وليس الخوف فالمجتمعات اعتادت العيش كالعبيد واعتادت الاسترقاق وارتداء الأغلال. وهناك من يجعلهم يقنعون بالعيش خاضعين وفرحين بأنهم قد كسبوا عبوديتهم بواسطة المتملقين المقربين من الطاغية الذين يختارون العبودية طوعاً، بينما يكون الشعب مكرهاً عليها[٤٩]. وعلى هذا الأساس يقوم هرم الاستبداد، حيث يخضع المستبد والطاغية خمساً من الأتباع، يخضع هؤلاء مئة غيرهم والمئة تخضع ألفاً علماً أن هذا الهرم سرعان ما ينهدم ما أن يكون المتملقون عن بذل أنفسهم قلباً وجسداً في سبيل الطاغية وعندئذ يفقد كل سلطة أكتسبها ويسقط من عزيته.

إذاً فمصدر قوة المستبد لا يستمدها من ذاته بل ممن سلموا ذاتهم له وممن استبد بهم فالمستبد لا قوة له إلا ما منحه الناس إياها، فالطاغية هو شخص له قدرات خارقة وإنما هو رجل غالباً ما يكون أجبن الأُمة وأخذلها لا عهد له بغبار المعارك، والذين يخدمون هذا الطاغية الجبان هم رهط من الرعاء المنهوكين، ولم امتنع اثنان أو ثلاثة أو أربعة عن الدفاع عنه فإن هرم الطغيان سينهار[٥٠].

وقدرته على إيقاع الأذى وإنزال الشر بالآخرين مستمدة من خوفهم منه وصيدهم عليه يدل مواجهته ويخاطب لابويسي جمهوره فيقول: "كل هذا الخراب وهذا البؤس وهذا الدمار لا يأتيكم من أعدائكم بل من عدو أنتم صنعتموه"[٥١]. وأن هذا الطاغية ما من حاجة إلى محاربته وهزيمته، فهو مهزوم من تلقاء ذاته إن لم ترضى البلاد باستعباده لها، كما لا يتعين انتزاع شيء منه، بل يكفي الامتناع عن إعطائه أي شيء وما من داع لأن تجهد البلاد نفس لتفعل شيئاً لمصلحتها شريطة أن لا تفعل شيئاً ضد مصلحتها، فالشعوب إذاً هي تسلق القياد لمظهرها لأنها لو كفت عن خدمته لكان خلاصها. إن الشعب الذي سير نفسه بنفسه هو الذي يذبح نفسه بيده إذ لما كان يملك الخيار بين أن يكون عبداً أو يكون حراً تخلى عن حريته ووضع العقد في عنقه ولما كان بوسعه أن يعيش في ظل قوانين جيدة مستمتعاً بحماية الدول،صل الأمر في ظل القلق والاضطهاد والظلم لمجرد إرضاء هذا الطاغية[٥٢].

كيف يمكن القضاء على المستبد والخلاص من الاستبداد؟ يرى لابويسي أن المستبد هو من صنعه الخاضعين فهو لا يملك قوة فيخاطب الجمهور بقوله: "إن هذا الذي يحكم عليكم ليس سوى عتيق وبدين وجد واحد، ولا يملك شيئاً أكثر مما يملكه أقل واحد منكم في مدنكم الكبيرة التي لا تحصى عدداً، إلا ما وهبتموه من القدرة على تدميريكم إذ من أين له العيون الكثيرة التي تراقبكم لولا أنكم أعطيتموه إياها؟ وكيف امتلك هذه الأيدي التي يضربكم بها لو لم يأخذها منكم؟ وكيف تسنى له أن يستقوي عليكم

لو لم تمكنوه من ذلك؟ ماذا بوسعه أن يفعل لو لم تكونوا أنتم من يأوي اللص الذي سيسرقكم؟[٥٣].

فالنتيجة التي ينتهي لها لابويسي أن الشعب هو من يقهر نفسه وأن المستبد ليس بحاجة لمحاربة بل فقط الامتناع عن طاعته فإنه سيسقط كالشمال الذي سحبت قاعدته على الأرض بقوة وزنه وسينكسر[٥٤].

إذا كان الناس في البداية يخدمون مكرهين ومقهورين بالقوة غير أن الذين يأتون بعدهم ولم يسبق لهم قط أن ذاقوا طعم الحرية ولا يعرفون ما هي فسيخدمون غيرهم ويقومون طوعاً بما قام به أسلافهم قسراً. ذلك لأن الناس الذين ولدوا مغلولي الأعناق، وقد تغذوا ونشأوا في العبودية من دون أن ينظروا أبعد من ذلك يقنعون بالعيش كما ولدوا ولا يخطر على بالهم أبداً أن يروا خيراً أو حقاً آخر غير ما وجدوا أنفسهم عليه ويعتبرون الوضع الذي ولدوا فيه شأناً طبيعياً[٥٥]. إذاً فالسبب الأول للعبودية المختارة هي العادة فالناس يولدون مستعبدين وينشأون على ذلك. أما من تربوا على الحرية فإنهم سيرفضون كل مباهج الدنيا مقابل التنازل عن حريتهم وسيتعاونون فيما بينهم من أجل الحفاظ على الحرية.

التفسير النفسي للاستبداد (السادومازوخية):

قدم أريك فروم[٥٦]. تحليل ظاهرة الاستبداد من خلال وضع إجابات لمجموعة من الأسئلة وضعها في اطار تحليل هذه الظاهرة وفهم العلاقة بين الحرية والأنظمة التسلطية والاستبدادية من هذه الأسئلة ماذا تعني الحرية ومتى تكون الحرية عبئاً يسعى الفرد للخلاص منه؟ ولماذا تكون الحرية هدفاً منشوداً للعديد بينما تكون للآخرين بمثابة تهديد؟ وهل هناك احتمال وجود إلى جانب الرغبة الفطرية بالحرية رغبة غريزية للخضوع؟ وكيف يفسر خضوع الكثيرين لقوى غيبية أو لزعامات معينة؟ أو ما الميل الذي يدفعنا للتخلي عن استقلالية النفس الفردية ودمجها في شخص آخر[٥٧].

وحاول فروم الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها بالاعتماد على تحليل سلوك الفرد المحكوم بنزعة السيطرة (السادية)[٥٨]. ونزعة الخضوع (المازوخية) [٥٩]. حيث عد فروم هاتين النزعتين نزعات موجودة عند البشر جميعاً أسوياء ومنحرفين وإن كان بدرجات متفاوتة[٦٠].

إن هذين المصطلحين قد ارتبطا في البداية بالجنس واستخدمتها مدرسة التحليل النفسي في تفسير الكثير من مظاهر السلوك البشري ثم انتقلا بعد ذلك إلى علم النفس الاجتماعي ثم إلى علم الاجتماع وأخيراً إلى ميدان الفلسفة السياسية[٦١].

ويوظف فروم هذين المصطلحين في فهم ظاهرة الاستبداد ليعيد صياغة هذه الثنائية (السادية والمازوخية) إلى ثنائية (المستبد والمستبد به)، ويرى النواة الأولى لهذه الثنائية الأخيرة متمثلة في مفهوم الفردية الذي تطور بشكل كبير عبر تاريخ البشرية بدءاً من العصور الحجرية مروراً بالعصور الوسطى وأخيراً بعصر النهضة الذي استطاع فيه الإنسان قطع كل الروابط البدائية وأصبح يملك حرية غير مسبوقة بتاريخ البشر[٦٢]. إلا أن هذه الحرية غير المسبوقة لم تقدم الأمان للإنسان بل زادت من شعوره بالخوف والعزلة مما جعلته

في خوف شديد للتخلص من الحرية.

يشير هذا المصطلح في المعاجم النفسية والتربوية إلى دوافع الفرد التي يبدو فيها مزيج من النزعات السادية وتلك المازوخية، ففي واقع الأمر يندر أن نجد سادية صرفة أو مازوخية صرفة لدى الفرد، إذ أنهما ينشأن من أصل واحد هو دافع العدوان ويشبعانه بهذا إذا كانت السادية واضحة في الفرد فلابد من أنها تخفي قدر من المازوخية وتؤدي في نفس الوقت إلى إشباعها ليستعيد الشعور بالأمان والألفة التي كانت توفرها له العبودية السابقة، وهو الآن أمام اتجاهين حيث أنه عليه أن يقهر الحالة التي لا تطاق (حالة العجز والوحدة) أو أن يتقدم إلى (الحرية الإيجابية) كالتعلق بالعمل والتعبير عن العاطفية والحسية والعقلية وهكذا يستطيع أن يتحد الإنسان يتحد مع الطبيعة ونفسه مرة أخرى دون أن يتنازل عن الاستقلال والتكامل الخاصين بنفسه الفردية والاتجاه الآخر أمامه هو التقهقر والكف عن الحرية ومحاولة قهر وحدته عن طريق استئصال الهوة التي تنشأ بين نفسه الفردية والعالم(٦٣).

يرى فروم أن قطع الروابط البدائية أو عملية التحول إلى الفردية ترافقت مع بروز الذات والتي يقع على عاتقها إيجاد الأمان والطمأنينة للإنسان وإذا كانت الذات قادرة على ربط ذاتها بالآخرين بروابط سلمية سليمة مع مجتمعه وبيئته فإن شعور الضياع والوحدة سوف يصبح أقل وليست المشكلة تكمن عندما يتخلى الإنسان بفردية عالية بل عندما تكون له أدوات ضعيفة غير قادرة على التحلي بالفردية وهذه مشكلة غالبية البشر، وهنا يتولد دافع الهروب من الهوية من خلال البحث عن روابط جديدة تحل محل الروابط البدائية للتخلص من أسباب العذاب والشعور بالوحدة والضياع، فالذات الداخلية التي كانت غاية منشورة للإنسان على مر العصور أصبحت الآن بعد اكتسابه هذه الحرية غير المسبوقة أصبحت عبء شديد وثقيل يجب التخلص منه.

وحسبما يرى فروم هناك عدة أساليب للتخلص من الذات ولكن لا يوجد أفضل وأنجح من ترك الذات تذوب في فكر معين أو دين معين أو أيديولوجيا ما تسلب الإنسان كل إرادته وحريته وتجعله أداة بيد القائد سواء كان هذا القائد بشر أو إله وعندما يخسر الإنسان إنسانيته وكينونته كفرد ويصبح عبارة عن لا شيء وبالتالي يتحرر من كل المسؤوليات التي ألزمته بها حريته السابقة، ويحصل على أمان مؤقت لا يلبث أن يزول فهذه الروابط الجديدة واهية وضعيفة لا تلبث أن تنقطع من جديد. ولكن سوف تجلب لصاحبها الدمار والهاوية وعلى مر التاريخ ظهر كثير من القادة الذين ساعدوا على الوصول إلى هذا المبتغى مثل اللوثرية والكالفنية، حيث كانت تحمل تلك الديانات نداء إلى هذه الجماعات لأنها عبرت عن شعور جديداً بالحرية والاستقلال حتى انتهى بهم الأمر إلى شعور بالعجز والقلق يحاصران أعضاء هذه الأديان(٦٤).

يقدم فروم تفسيراً نفسياً لحالة الهروب من الحرية أو لحالة التخلص من الذات الداخلية عبر الزمان بذات أخرى أو فكر آخر أو قوة أعظم وأقوى بكثير. وهذا يطلق عليه اسم (السادومازوخية)، أو النظرية السادومازوخية، ويعتبر مصطلح السادومازوخية عن العلاقة الوثيقة بين السادية التي هي ايقاع الألم

بالآخرين والمازوخية التي هي تعني العكس – تقبل ايقاع الألم على الذات والاستمتاع به[٦٥].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذين المصطلحين قد ارتبطا في البداية بالجنس، واستخدمتهما مدرسة التحليل النفسي في تفسير الكثير من مظاهر السلوم البشري، لكنهما انتقلا بعد ذلك إلى ميدان علم النفس الاجتماعي ثم إلى علم الاجتماع وأخيراً إلى ميدان الفلسفة السياسية والتي تغنينا بالدرجة الأولى، كذلك أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين المصطلحين أو بين النزعة السادية المتسلطة التي تفرض سيطرتها على شخص أو مجموعة من الأشخاص، وبين النزعة المازوخية التي تستسلم، بل وتستعذب الألم الذي عند البشر رغم أنها توجد بصورة منحرفة عند بعضهم، ويؤكد فروم هذا الاعتقاد بقوله: "أن النزعات السادومازوخية موجودة عند البشر بدرجات مختلفة في الأشخاص الأسوياء والمنحرفين على حد سواء[٦٦]. ويصف فروم كلا النزعتين بأنهما هروب من وحدة لا تطاق. فالمازوخية هي تجسيد لمشاعر الدونية والعجز واللاجدوى الفردية والأشخاص الذين تظهر لهم هذه المشاعر يظهرون تبعية ملحوظة للقوى التي هي خارج أنفسهم. تبعية للشخص أو المؤسسات أو الطبيعة، وهم يميلون لا إلى تأكيد أنفسهم ولا إلى فعل ما يريدون بل يميلون إلى الخضوع لأوامر هذه القوى الخارجية[٦٧]. سواء كانت هذه الأوامر واقعية أو مختلفة.

وإلى جانب هذه النزعة المازوخية نجد النزعة السادية، وهذه النزعة تتباين في القوة وهي على ثلاثة أنواع: النوع الأول هو الذي يجعل الآخرين يعتمدون عليه وتكون له قدرة مطلقة عليهم حتى أنها لا تجعل منهم سوى آلات. والنوع الثاني لديه دافع لا ليهيمن على الآخرين بهذه الطريقة المطلقة، بل لاستغلالهم والسرقة منهم واستنزافهم وقضم أي شيء يمكن أكله فيهم إن جاز القول. وهناك نوع ثالث هو الرغبة في جعل الآخرين يعانون أو يروهم يعانون، ويمكن لهذه المعاناة أن تكون جسمانية ولكنها في الغالب تكون معاناة ذهنية وهدفها أن تؤذي الآخرين تماماً وأن تذلهم وأن تربكهم أو تراهم في مواقف مذلة ومربكة[٦٨]. وغالباً ما يتم تبرير النزعة السادية بتبريرات عقلانية ويتم تغطيتها بصياغات من رد الفعل بشأن الطيبة المفرطة أو العناية الشديدة بالآخرين، ومن أكثر التبريرات الشائعة "أنني أفرض عليك قواعدي لأنني أعرف أفضل الأمور لك ولمصلحتك عليك أن تتبعني دون معارضة أو أنني فريد وعجيب حتى أن لي الحق أن أتوقع أن يصبح الآخرين معتمدين عليّ" . وهناك تبرير عقلي غالباً ما يغطي الميول الاستغلالية هو "لقد فعلت الكثير من أجلك والآن أنا مخول لي أن آخذ منك ما أريد". كذلك هناك أنواع أخرى من السادية وهي أكثر عدوانية مثل "لقد نلت الأذى من الآخرين وليست رغبتي في توقيع الأذى بهم سوى مقابلة الأذى بمثله" أو أنني بتوجيه الضربة أولاً إنما أدفع عن نفسي أو عن أصدقائي ضد خطر التعرض للأذى[٦٩].

والاستبداد ينشأ عن العلاقة بين السادي والمازوخي، لأن دافع المازوخي في التخلص من الذات الفردية أو التخلص من عبء الحرية والسكون من خلال تصغير وإذلال النفس لأعلى درجة، وتسليم زمام السلطة لقوة خارجة عن الإنسان، حتى وإن كان هناك شعور بالذل والألم ولكن بالمقابل يشعر المازوخي بالأمان

والطمأنينة، فقد تخلى عن كل مسؤولياته كفرد، وأصبح وسيلة يفعل بها ما يشاء الشخص السادي. وفي الوقت نفسه فإن الشخص السادي أيضاً بحاجة للشخص المازوخي أو للشخص الذي يتحكم فيه لدرجة مميتة لأن شعوره بالقوة كامن في أنه سيد إنسان ما وبذلك يتخلص من الشعور بالوحدة لأن الشخص بالفعل أصبح جزءاً من السادي والسادي شيء ناتج عن هذه العلاقة، لذلك هي علاقة إدمان بالكامل، كذلك قد يعتقد البعض أن السادي يفرض هيبته عليهم لأنه يحبهم كثيراً وهذا مجرد وهم فهو يحبهم لأنه يهيمن عليهم[٧٠]. فخلاصة العلاقة بين السادي والمازوخي أو بين المستبد والمستبد به هي علاقة إدمان بالكامل وهي محاولة فاشلة للشعور بالأمان والتخلص من الوحدة، أي موضوعاً للخلاص، فعلى سبيل المثال (لوثر) الذي اعتقد أنه يعتمد على حب حقيقي لله، هو في الواقع محاولة للتخلص من الوحدة ورغبة منه في الشعور بالأمان[٧١].

قد تأخذ هذه العلاقة (السادومازوخية) بين المستبد والمستبد به أشكالاً أخرى تتعدى إطار الخضوع لفرد أو أفراد، فالحال ينطبق على كل من يؤمن بالمثل التي تظهر في الأيدولوجيات الدنيوية، لأنها في حقيقة الأمر ليست سوى تعبيرات عن الحاجة الإنسانية للخلاص من الشعور بالوحدة والفردية، ومحاولة لتحقيق التوازن والانسجام والتلاؤم مع المحيط[٧٢].

وكذلك يرى فروم في الدين أو أي نظام تمحور حول الله والقوى الغيبية على أنه إطار للتوجه وموضوع للخلاص، فالدين من (وجهة نظر فروم)[٧٣]. غريزة في الإنسان فلا يكاد يخلو شخص من الحاجة الدينية، ويضع تحت بند الدين ليس الأديان السماوية (كالإسلام والمسيحية واليهودية) وغيرها بل حتى الأيدولوجيات أو أي لائحة من مجموعة معتقدات أو مبادئ هي دين لأنها إطار للتوجه وموضوع للخلاص[٧٤]. وكل أنواع العبادات الأخرى فقد يعبد الإنسان الحيوانات أو الأشجار أو الأوثان الذهبية أو الحجرية أو الإله المرئي أو الإنسان القديس أو الزعماء الشياطين، وقد يعبد أسلافه أو أمته أو طبقته أو حزبه أو المال أو النجاح، وقد يكون مدركاً أن نظامه نظام ديني مختلف عن أنظمة المجال الدنيوي أو يظن أنه لا دين له. ويفسر إخلاصه لبعض الأهداف الدنيوية المزعومة كالسلطة أو المال أو النجاح، بأنه ليس غير اهتمام بما هو عملي وموافق للغرض[٧٥].

ومن خلال تحليله للظاهرة الدينية وعلاقتها بالاستبداد والخضوع يرى أن الدين أنتج حالتين (الدين التسلطي والدين الإنساني)، ويعرف الدين التسلطي بأنه: «إقرار من الإنسان بأن السلطة عليه غير مرئية سيطرة مصيره، وأنها تستحق الطاعة والإجلال والعبادة»[٧٦]. لكن هذا وحده لا يشكل الدين التسلطي، بل ما يجعله كذلك هو أن هذه السلطة (بسبب) ما تمارسه من السيطرة تستحق (الطاعة والإجلال والعبادة)، فبسبب العبادة لا يكمن في الحب أو العدل بل في أن لها سلطاناً على الإنسان، ولهذه السلطة العليا الحق في أن ترغم الإنسان على عبادتها وأن عدم الإجلال والطاعة يشكل إثماً[٧٧].

فالعنصر الجوهري في الدين التسلطي هو الانقياد إلى سلطات يتجاوز الإنسان، والفضيلة الرئيسية في هذا النمط من الدين هي الطاعة، والاثم الأكبر هو التمرد، كما يجري تصور

المعبـود بأنه قـادر على كل شـيء وعليم بكل شـيء، ويجري تصوير الإنسـان بأنـه عاجز وتافـه ولا يمكن أن يشـعر بالقـوة، إلا إذا فاز بنعمـة أو عون من المعبود بالاستسـلام الكامل لـه. والخضـوع لسـلطان قوي هو أحد السـبل التي يهرب فيها الإنسـان من إحساسـه بالعزلة والمحدودية، وفي فعل الاستسلام يفقد استقلاله وسـلامته بوصفه فرداً، ولكنه يفوز بالإحساس بأنه يحميه سـلطان يلهم بالخشوع، ويقدم فروم نماذج للدين التسـلطي مثـل لاهوت كالفن على أنه صورة ناطقة بالتفكير التأليهي التسلطي[٧٨]. ويتبع الديني التسـلطي الدنيوي المبدأ ذاته وفيه يصيـر (الفوهـر) الزعيـم الألمانـي أو الأب المحبوب من شـعبه أو دولتـه أو عرقه أو بلده الاشتراكي موضوع للعبادة، وتصير حياة الفرد تافهـة وقيمة الإنسـان تكمن في أفـكاره التامة لقيمته وقوته[٧٩].

خاتمة

يعد الاسـتبداد ظاهرة قديمة قد المجتمعات ولقد حاول كثير من الفلاسـفة والمفكرين وضع تفسـيرات وحلول لهذه الظاهرة الخطيرة ومن هذه التفسيرات المهمة تفسير آتين دي لابويسي الـذي اتجـه بفكـره نحـو صـوت الخاضعين المسـتبد بهم، متسـائلاً عن السر وراء انصياع وخضـوع الجمـوع الفقيـرة لفرد واحـد فوجد لابويسي السـبب لا يعود إلى فعل الاكراه الذي يمارسـه المستبد ضد المسـتبد بهم بل يعود إلى فعل الخضـوع والاسـتجابة للاسـتبداد ويرى لابويسـي أن قـوى فالمسـتبد لا يمتلك صفات مميزة عـن الاخرين وهو مجرد فرد لا يختلف عن البقية بل إنه سيسـتخدم قوة من اسـتبد بهم واسـترقهم، ولكي يتم هزيمة هذا المسـتبد فكل مـا علـى المسـتبد بهم هـو الكف عـن طاعته والامتناع عن تنفيذ أوامره، حينها سوف يسقط كالتمثال الضخم الذي سـحبت قاعدته من تحته. فمن وجهة نظر لابويسـي الشعب هو من يقهر نفسه بنفسه وخلاصه مرهون بالكف عن طاعة وخدمة المستبد.

أمـا أريك فـروم فإنه حـاول فهم وتفسـير الاسـتبداد السياسـي من خلال تحليله النفسـي للسـلوك الفردي حيـث وجد من خـلال تحليل النفسـي ان الاسـتبداد ميل فطـري موجود في النزعـة الانسـانية، وهذا الميـل يتمثل بالنزعة السـادية والمازوخية الموجودة عن كل البشـر الأسـوياء والمرضى ولكن بدرجـات متفاوتة، فالمسـتبد يمارس نزعتـه السـادية القائمة عن التلـذذ بإيـذاء الآخريـن والتـي هي فـي نهاية الأمر ترجع إلى دافع واحد وهو حب السيطرة. فـ (حب السـيطرة) هـو العامل المشـترك بين السـادي والمسـتبد. أما المسـتبد بـه فهو يعبر عن نزعتـه المازوخية القائمة على التلذذ بالألم الذي يقع عليه من شـخصية أقـوى منه تحرره مـن خوفه مـن الحرية، وهنا يكـون (الخوف) جوهر النزعـة المازوخية (الخوف من الحرية والمسؤولية)، فالمازوخي فرد خائف لا يتحمل ذاته المسـتقلة عن ذوات الآخرين، فالاستقلال مصدر قلـق وكلما خضوعه وطاعته للمسـتبد أكبـر زاد احساسـه بالقـوة أكثـر وزال عنـه احساسـه بالخـوف مـن الحريـة. فالعلاقة بين السـادي والمازوخي علاقة ذات منفعة متبادلة وهي تشـبه علاقة المستبد بالمسـتبد به فالأول بحاجـة إلـى الجمـوع الخاضعـة التـي تمنحه الاحساس بالسيطرة، والمستبد بحاجة إلى السيد القوي الذي يخلصه من الخوف من الحرية ومن المسـؤولية، فالمصحة مُتبادلاً، طالما الاحتياج متبادل.

الهوامش

(١)أبـادي، مجـد الديـن محمـد بـن يعقـوب الفيروز، القامـوس المحيـط- نسـخة منقحة وعليهـا تعليقات الشـيخ أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي، راجعه واعتنى به أنس محمد السامي، وزكريا جابر أحمـد، دار الحديث، القاهـرة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص١٠٣.

(٢) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الشروق الدوليـة للطباعـة والنشـر، القاهـرة، الطبعـة الرابعة، ٢٠٠٨، المجلد الأول، ص٤٢.

(٣) ابـن منظور، محمـد بن مكرم، لسـان العرب، دار المعـارف، القاهـرة، مصـر، ١٩٨١، الجـزء الأول، ص٢٢٧.

(٤) إمـام، عبـد الفتاح إمام، الطاغية – دراسـة فلسـفية لصور من الاسـتبداد السياسـي، المجلس الوطني للثقافة والفنـون والأدب، الكويـت، ٢٠٠٢، ص٥٢. ينظـر كذلك، زريق، برهان، الاسـتبداد السياسـي، منشـورات وزارة الثقافة والإعلام السورية، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٦، ص١٦.

(٥) الكيالـي، عبـد الوهـاب، موسـوعة السياسـة، المؤسسة العربية للدراسـات والنشر، دار الهدى، لبنان، بيروت،١٩٩٤، ج١، ص١٦٦.

(٦) زيادة، معن، الموسـوعة الفلسفية العربية الميسرة، معهد الانماء العربـي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦، المجلد الأول، ص ٥٣.

(٧) الجوهـري، محمـد، معجـم مصطلحـات العلـوم الاجتماعية، الهيئة العامـة لدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠١٠، ص١٠٥.

(٨) زيادة، معن، الموسـوعة الفلسـفية العربية، المجلد الأول، ص٥٤.

(٩) المصدر نفسه، ص٥٤.

(١٠) طغيان في اللغة: الغلو والطاغي هو الظالم المسرف فـي الظلم، وهو الجبار المتكبـر العاتي، والطاغية ينفرد وحكومتـه بالتشـريع والتنفيذ معاً. الحفنـي، عبد المنعم، المعجـم الشـامل لمصطلحـات الفلسـفة، دار مدبولـي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠، ص٤٩٥-٤٩٦.

(١١) دكتاتوريـة: وهي حكومة الفرد الذي يلي السـلطة عنوة، ويستبد بالأمر. ينظر: الحفني، عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ص٣٥٦.

(١٢) الحكـم المطلق: نظام سياسـي يسـتند الى سـلطة مطلقة غير مقيدة بالدسـتور، وغير مسؤولة امام السلطة الشـرعية. ينظر: صليبيـا، جميل، المعجم الفلسـفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الجزء الاول، ص ٤٩٠.

(١٣) يتفق مع ارسطو عدد كبير من الفلاسفة والمفكرين حول الاصل الشـرقي للاسـتبداد وللاطلاع على نماذج من الحكم الثيوقراطي في الحضارات الشـرقية القديمة، ينظر: دياكوف، ف، وس كوفاليف، الحضارات القديمة، الجزء الأول، ترجمة: نسـيم واكيم اليازجي، منشـورات داء علاء الدين، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠، ص٩٥ وما بعدها.

(١٤) ينظـر: إمـام، عبد الفتاح، إمام، الطاغية، دراسـة فلسـفية لصور من الاستبداد السياسي، إهداءات المجلس الوطنـي للثقافة والفنون والأدب، سلسـلة عالم المعرفة، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦، ص٢٥-٤٠.

(١٥) ينظـر: أفلاطون، الجمهورية، ترجمة: حنا خباز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م، ص٢٩٠-٢٩١.

(١٦) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٩٣.

(١٧) ينظر: المصدر نفسه، ٢٩٤.

(١٨) ينظر: المصدر نفسه ٢٩٨.

(١٩) ينظر: إمام، عبد الفتاح، إمام، الطاغية، ص٥٤.

(٢٠) أرسـطو، طاليس، السياسـة، ترجمة: أحمد لطفي السـيد، المؤسسـة القومية للطباعة والنشر، القاهرة، بلا طبعة، بلا تاريخ، ص٣٦٤.

(٢١) ينظر: المصدر نفسه، ص٣٢٦.

(٢٢) ينظر: المصدر نفسه، ٣٣٧.

(٢٣) ينظـر: ميكافيلي، نيقـولا، الأمير، ترجمة: خيري حماد، منشـورات دار الآفاق الجديـدة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٩٨٨، ص١٤٢-١٤٣.

(٢٤) ينظر: هوبز، توماس، اللفياثان، الأصول الطبيعية والسياسـية لسـلطة الدولة، ترجمة: ديانان حبيب حرب وبشـرى صعب، مراجعة وتقديم، رضوان السـيد، هيئة أبـو ظبي للثقافـة والتراث (كلمة)، ابـو ظبي- الامارات العربية المتحـدة، ودار الفارابي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، ص١٧٦-١٧٧.

(٢٥) ينظر: المصدر نفسه، ١٧٧.

(٢٦) زيادة معن، الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الأول، ص٥٤.

(٢٧) ينظر: جان جاك روسو، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، ترجمة وتقديم وتعليق: عبد العزيز لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١١،، ص١٤٣.

(٢٨) ينظر: المصدر نفسه، ص١٨٤.

(٢٩) المصدر نفسه، ص١٨٤.

(٣٠) ينظر: مونتسيكو، روح الشرائع، ترجمة: عادل زعيتر، الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧، ص١٣٤.

(٣١) ينظر: المصدر نفسه، ص١٣٥.

(٣٢) ينظر: المصدر نفسه، ص١٣٦.

(٣٣) زريق، برهان، الاستبداد السياسي، ص٢٢.

(٣٤)يرى البعض في فكرة النبي الفيلسوف عند الفارابي بأنها فكرة مستوحاة من التاريخ الإسلامي الذي عرف فترة ازدهار فكري ومادي في زمن الخليفة المأمون الذي كان محباً للحكمة، وكان بجانبه فقهاء ومتكلمون، وفلاسفة، وقادة عسكريون، والبعض يرى أنها فكرة تعبير عن رأي الفرقة الإسماعيلية، أي صادرة عن مبادئ الفكر الشيعي، لكن لم يكن الفارابي يعبر عن رأي فرقة من الفرق الإسلامية والكلامية بقدر ما حاول أن يعبر بطريقته الخاصة عن مجموع القوى الاجتماعية النامية في عصره. ينظر: الجابري، محمد عابد، نحن والتراث، قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، المركز الثقافي العربي، الطبعة السادسة، بيروت، ١٩٩٣، ص٧٦-٧٧.

(٣٥) ينظر: الفارابي، أبو نصر، كتاب السياسة المدنية الملقب بمبادئ الموجودات، حققه وقدم له وعلق عليه: فوزي متري نجار، المطبعة الكاثوليكية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٦٤، ص٧٩-٨٠.

(٣٦) ينظر: ابن رشد، الضروري في السياسة، مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، نقله إلى العربية: أحمد شعلان، تقديم: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ص١٣٧.

(٣٧) الجابري، محمد عابد، نحن والتراث، قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٩٣، ص٧٦.

(٣٨) الجابري، محمد عابد، ابن رشد سيرة وفكر دراسة ونصوص، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ص٣٣٣.

(٣٩) الكواكبي، عبد الرحمن، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقديم: مجدي سعيد، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ٢٠١١، ص٨.

(٤٠) المصدر نفسه، ص٨.

(٤١) إمام، عبد الفتاح إمام، الطاغية، ص١٢١.

(٤٢) الكواكبي، عبد الرحمن، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقديم: مجدي سعيد، ص١١.

(٤٣) ينظر: المصدر نفسه، ص١٢.

(٤٤) ينظر: المصدر نفسه، ص٢١.

(٤٥) عبده، محمد، الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، تحقيق وتقديم: محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ص٣٨١.

(٤٦) المصدر نفسه، ٣٨٢.

(٤٧) اتين دي لابويسي ولد في ١٥٣٠ وتوفي سنة ١٥٦٣، كاتب فرنسي وصاحب النظرية الفوضوية، ويعد مؤسس الفلسفة الحديثة في فرنسا، ينتمي إلى طبقة أرستقراطية تفرغت لخدمة ملوك فرنسا، وعمل قاضياً في برلمان بوردو، ومن أهم مؤلفاته (مقال في العبودية المختارة – مرافعة قوية ضد الطغيان، وله عدد قليل من الأشعار وعدد من الترجمات لنصوص كلاسيكية تعود للمؤرخ اليوناني زينوفون واكسنوفان. ينظر: لابويسي، ايتيان دو، العبودية المختارة، ترجمة: صالح الأسمر، ص٥-٩، ضمن مقدمة المترجم.

(٤٨) ينظر: لابويسي، اتيان دو، العبودية المختارة، ترجمة: صالح الأسمر، دار الساقي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦، ص١٢.

(٤٩) المصدر نفسه، ص١٢.

(٥٠) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٧.

(٥١) ينظر: المصدر نفسه ٣٠-٣١.

(٥٢) ينظر: المصدر نفسه، ص٣٤.

(٥٣) ينظر: المصدر نفسه ص٦٦.

(٥٤) ينظر: المصدر نفسه، ص٤٦.

(٥٥) ينظر: المصدر نفسه، ص٤٧

(٥٦) أريك فروم: عالم نفس وفيلسوف ألماني، ولد في مدينة فرانكفورت من عائلة يهودية أورثودكسية متدينة في ٢٣ مارس ١٩٠٠، وقد كان وحيد والديه، الذين كانا يودان أن يصبح حاخاماً، انتقل إلى مدينة هايد ليسبرغ حيث بدأ بدراسة القانون ثم انتقل إلى دراسة السوسيولوجيا، ثم حصل على الدكتوراه في الفلسفة، ثم تفرغ للتحليل النفسي، اضطر إلى مغادرة ألمانيا بعد وصول النازية للحكم فهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٣٤، ثم عاد والتحق بجامعة فرانكفورت وهايد ليسبرغ حيث درس فيها العلوم الاجتماعية والنفسية والفلسفية، من أهم أعماله: الهروب من الحرية (١٩٤١)، التحليل النفسي والدين (١٩٥٠)، اللغة المنسية: مدخل إلى فهم الأحلام والقصص الخيالية والأساطير وتأثيرها (١٩٥١)، المجتمع العاقل (١٩٥٥)، رسالة سيجموند فرويد: تحليل شخصيته وتأثيره (١٩٥٩)، أزمة التحليل النفسي: مقالات عن فرويد وماركس وعلم النفس الاجتماعي (١٩٧٠)، تشريح نزوع الإنسان إلى التدمير (١٩٧٣) كما حرر كتباً عن بوذية زن، ومفهوم ماركس للإنسان وكتب أخرى، ينظر فروم، أريك، الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ترجمة وتعليق: حميد لشهب، تقديم: راينرفونك، شركة نداكوم للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧٢، ص٢٧.

(٥٧) ينظر: فروم، أريك، الخوف من الحرية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧٢، ص٢٧.

(٥٨) السادية: ينسب مصطلح السادية إلى المركيز دساد (١٧٤٠-١٨١٤) الذي اشتهر بمؤلفاته ذات المحتوى العنيف في الممارسات الجنسية. ويقصد بالسادية في علم النفس والتحليل النفسي اشتياق اللذة عن طريق القيام بتعذيب الآخرين سواء بتوجيه عدوان معنوي كالتقليل من شأن الآخر وعدم مراعاة مشاعره وكرامته أو ضرب مصالحه أياً كانت. ينظر: طه، فرج عبد القادر (وآخرون)، معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الاولى، ١٩٣٦، ص٢٢٣.

(٥٩) المازوخية: ينسب هذا المصطلح إلى الكاتب والروائي النمساوي الذي ارتبط اسمه بهذه الظاهرة وهو (ليبولد زاخر مازوخ)، ويقصد به في علم النفس اشتقاق الفرد للذة في قيام الآخرين بتعذيبه وتوجيه العدوان إليه، سواء كان عدواناً مادياً كالضرب والإيذاء البدني أو عدواناً معنوياً كتحفيز الفرد وإهانته وجرح كرامته والسخرية منه وإظهار هوان شأنه ودنو منزلته وعدم اعتبار مشاعره، وعرقلة مصالحه والوقوف في وجهها، وهكذا فالمازوخية نقيض السادية وعكسها تماماً. ينظر: طه، فرج عبد القادر (وآخرون)، معجم علم النفس والتحليل النفسي، ص٣٩٠.

(٦٠) ينظر: المصدر نفسه، ص١١٧.

(٦١) إمام، عبد الفتاح إمام، الطاغية، دراسات فلسفية لصور من الاستبداد السياسي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٨٣، الكويت، ١٩٩٤، ص٣٣٤.

(٦٢) ينظر: فروم، أريك، الخوف من الحرية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، ص١١٦.

(٦٣) ينظر: فروم، اريك، الخوف من الحرية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، ص١١٦.

(٦٤) ينظر، المصدر نفسه، ص١١٧.

(٦٥) ينظر: إمام، عبدالفتاح إمام، الطاغية دراسات فلسفية لصور من الاستبداد السياسي، ص٣٣٤-٣٣٥.

(٦٦) فروم، أريك، الخوف من الحرية، ص١١٧.

(٦٧) يرى فروم في الميل لإيذاء النفس وجعلها تعاني أشد حالات الخضوع تطرفاً. ينظر: فروم، أريك، الخوف من الحرية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد،، ص١١٨.

(٦٨) ينظر المصدر نفسه، ص١١٩.

(٦٩) ينظر المصدر نفسه، ص١١٩-١٢٠.

(٧٠) المصدر نفسه، ص١٢٠.

(٧١) ينظر: هايك، ف. أ. الطريق إلى العبودية، ترجمة:

محمد مصطفى غنيم، دار الشروق، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان، ١٩٩٤، ص١٧٢-١٧٤.

(٧٢) ينظر: فروم، أريك، التحليل النفسي والدين، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، دار الحوار، الطبعة الأولى، ٢٠١٢، ص٩٠.

(٧٣) يعارض فروم وجهة نظر فرويد حول أصل نشأة الظاهرة الدينية حيث يعتقد فرويد في كتابه (مستقبل وهم) أن أصل نشأة الأديان تعود دائماً إلى مسألة الرعب من الظاهرة بسبب عجزه عن تفسير الظواهر: ينظر فرويد سيغموند، مستقبل وهم، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٩٨، ص٥٠-٥١.

(٧٤) ينظر المصدر نفسه، ص٩٢.

(٧٥) ينظر المصدر نفسه، ص٩٠.

(٧٦) ينظر المصدر نفسه، ص٩٩.

(٧٧) ينظر فروم أريك، الخوف من الحرية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، ص٣٩.

(٧٨) ينظر فروم، أريك، التحليل النفسي والدين، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، ص٩٩-١٠٠.

(٧٩) المصدر نفسه، ص١٠٠.

المصادر

- أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز، القاموس المحيط، المجلد الأول، نسخة منقحة وعليها تعليقات الشيخ أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي، راجعه واعتنى به أنس محمد السامي، وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- ابن رشد، الضروري في السياسة، مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، نقله إلى العربية: أحمد شعلان، تقديم:محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، الجزء الأول، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.
- أرسطو، طاليس، السياسة، ترجمة: أحمد لطفي السيد، المؤسسة القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

أفلاطون، الجمهورية، ترجمة: حنا خباز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.

- إمام، عبد الفتاح إمام، الطاغية – دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت،٢٠٠٢.
- إمام، عبد الفتاح إمام، الطاغية، دراسات فلسفية لصور من الاستبداد السياسي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٨٣، الكويت، ١٩٩٤.
- إمام، عبد الفتاح، إمام، الطاغية، دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي، إهداءات المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦.
- الجابري، محمد عابد، ابن رشد سيرة وفكر دراسة ونصوص، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.
- الجابري، محمد عابد، نحن والتراث، قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، المركز الثقافي العربي، الطبعة السادسة، بيروت، ١٩٩٣.
- الجوهري، محمد، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠١٠.

- الحفني، عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، دار مدبولي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠.
- الفارابي، أبو نصر، كتاب السياسة المدنية الملقب بمبادئ الموجودات، حققه وقدم له وعلق عليه: فوزي متري نجار، المطبعة الكاثوليكية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٦٤.
- الكواكبي، عبد الرحمن، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقديم: مجدي سعيد، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ٢٠١١
- الكيالي، عبد الوهاب، موسوعة السياسة، مدير التحرير: ساجد نعمة، الجزء الاول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الهدى، بيروت، ١٩٩٤.
- دياكوف، ف، وس كوفاليف، الحضارات القديمة، الجزء الأول، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، منشورات داء علاء الدين، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠،
- روسو، جان جاك، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، ترجمة وتقديم وتعليق: عبد العزيز لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١١.
- زريق، برهان، الاستبداد السياسي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام السورية، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٦
- زيادة، معن، الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الأول، معهد الانماء العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦.
- زيادة، معن، الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الأول، معهد الانماء العربي، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٩٨٦.
- صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، الجزء الاول، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢.
- طه، فرج عبد القادر (وآخرون)، معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الاولى، ١٩٣٦.
-عبده، محمد، الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، تحقيق وتقديم: محمد عمارة، دار الشروق، بيروت ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- فروم، أريك، الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ترجمة وتعليق: حميد لشهب، تقديم: راينرفونك، شركة نداكوم للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧٢.
- فروم، أريك، التحليل النفسي والدين، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، دار الحوار، الطبعة الأولى، بيروت-لبنان، ٢٠١٢.
- فروم، أريك، الخوف من الحرية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧٢.
- فرويد، سيغموند، مستقبل وهم، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٩٨.
- لابويسي، اتيان دو، العبودية المختارة- مرافعة قوية ضد الطغيان، ترجمة: صالح الأسمر، دار الساقي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦.
- مجمع اللغة العربية،، المعجم الوسيط، دار الشروق الدولية للطباعة والنشر،القاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٨.
- مونتسيكو، روح الشرائع، ترجمة: عادل زعيتر، الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧.
- ميكافيلي، نيقولا، الأمير، ترجمة: خيري حماد، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٩٨٨.
- هايك، ف. أ. الطريق إلى العبودية، ترجمة: محمد مصطفى غنيم، دار الشروق، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٤.
- هوبز، توماس، اللفياثان، الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة، ترجمة: ديانان حبيب حرب وبشرى صعب، مراجعة وتقديم، رضوان السيد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، ابو ظبي – الامارات العربية المتحدة، ودار الفارابي، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

Political Despotism between Atien de Laboisie and Eric Fromm

Asst. Prof. Hajran Abdul Illah Mohammed (PhD.)

Abstract

This research examines Étienne de la Boisse's interpretation of the concept of political despotism (Étienne de la Boisse is the founder of modern political philosophy in France) and the German philosopher and psychologist Eric Frome›s interpretation of the same concept. The first provides an explanation of political despotism that focuses on the social aspects; his arguments are directed towards the voice of the submissive oppressed people‹attributing those poor people's submissiveness to one individual tyrant to the act of submission and response to tyranny those masses of people have.

Furthermore‹in order to be free from tyranny of the despot and to defeat him‹the oppressed must stop obeying the former and refrain from carrying out his orders‹only then‹he (the despot) is going to fall like a huge baseless statue.

Eric Fromm›s interpretation‹on the other hand‹highlights the individual and psychological aspects of autocracy‹finding out through his analysis that sadism and masochism exist in all human beings‹healthy and sick‹though to varying degrees‹the tyrant exerts his sadistic tendency based on being-delighted-in-hurting others out of love of control; whereas the oppressed expresses his masochistic tendency based on being-delighted-by-pain inflicted upon him by a stronger personality capable of liberating him from fear of freedom.

Keywords: Political Despotism Tyrant Oppressed Sadism Masochism